

اتجاه الأدب العربي

بعد الحرب القائمة

للأستاذ منصور جاب الله



قيل إن أبا بكر الخوارزمي وقف بباب الوزير صاحب بن عباد فقال له الآذن : إن سيدى قد أزم نفسه ألا يلبح بابه إلا من كان يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب ، فأجاب الخوارزمي على الفور : هذا أقدر من شعر الرجال أو من شعر النساء ؟ ... وإذ علم صاحب بجواب الخوارزمي قال : دعه فإنه الخوارزمي ! إنما كان ذلك رأياً قديماً في الأدب العربي ، إذ كان الفداى يعدون الأديب أديباً بكثرة حفظه ، على حين أن كثرة الحفظ لا تجعل من الإنسان أديباً وإنما تخلق منه « راوية » . وليس أدل على ذلك من أن الخوارزمي الذى صدرنا بحكايته هذا الفصل قد هزم هزيمة نكراء حيال بديع الزمان الهمذاني ، وهو الشاب الحدث ، هزيمة اختصرت حياته بخافته العمر ولم يأت عليه إلا ما دون العام حتى كان في عداد الثاوين

الحق أن معنى كلمة « الأدب » قد لقي تحولاً كبيراً في

سائر اللغات ، ومع أننا ما برحنا ننظر إلى معنى كلمة الأدب نظرة رجعية ، لا نستطيع أن ننفل التحول الكبير الذى طرأ على الأدب العربى بعد الحرب العالمية الماضية ، فقد كانت لأدبنا مظاهر نجح أن نناقشها ونفحصها حتى تتكون على ضياء البحوث النصيحية عناصر الأدب الجديد بعد انقضاء الحرب الناشئة وعودة الأمور إلى مجاريها

أقد كان من مظاهر الأدب العربى فيما بعد الحرب الماضية أن اتجه الأدباء إلى الترجمة والنقل عن اللغات الأجنبية ، حتى عد عدم التمكن من إحدى اللغات نقصاً لا يغتفر فى الأديب ، ورأى الكثيرون أن اللغة العربية وحدها لا تكفى فى تكوين الأديب العربى . وكان من جراء ذلك أن ذهب الأدباء مذاهب عدة ، فكانت هناك النزعة « اللاتينية » والنزعة « السكونية » والسكل من النزعتين أنصار وخصوم ، حتى لقد بصرنا بأدباء يكتبون بالعربية على حين أن أحدهم لا يطالع كتاباً عربياً مهما تكن قيمته العلمية ، ومن ثم لم يكن « أدب ما بعد الحرب » أدباً إنشائياً ذا نزعة استقلالية ، وإنما كان عالة على سواء من الآداب الغربية ، حتى أقد صدق كاتب محدث بوصفه الأدب عندنا بأنه (مستعمرة !) فالنقل عندنا هو كل شيء ، فإذا شئنا التحرر من ربة النقل الصريح فزعنا إلى « الاقتباس » والمحاكاة ، ومن

ويهمنا هنا أن نعرف أن الحلم — إذا حاولنا استعادته عند استيقاظنا من النوم — كثيراً ما يتجسج منه أثر أشياء كبيرة الأهمية ، ويحل محلها عند اليقظة عمل آخر للرقيب ، بواسطة يُنسب الجزء المكتوب من الحلم

وإذا ترسم الحالم ارتباط عدة أحلام فلا ريب فى أنه سيجد أنها جميعاً تنجبه إلى نقطة واحدة فى حياته ، هى مركز السكبت ، نقطة البداية ليله الحالى

هذى هى الأحلام التى تتعلق باللاشعور ، والتى تمدنا بالدليل على تناقضنا . إلا أن هناك عناصر معروفة تنشأ عنها الأحلام العادية هى :

١ — التأثيرات التى تأتينا من الداخل كامتلاء المعدة ، وسوء الهضم ، أو عدم انتظام الدورة الدموية وارتباك المخ . وهذه كلها أو بعضها يسبب فى الغالب أحلاماً مزجة نسميها بالكابوس

٢ — الذكريات المحفوظة فى أعماق اللاشعور . بيد أن هذه الذكريات تتولد منها أفكار أخرى تناسبها فيتوسع النطاق فيبنى صروح أحلام شائعة

٣ — التهميج والانفعال النفسى الذى ينعكس إلى مراكز الدماغ فيجمله فى حالة عمل متواصل ، ويحصل العمل غالباً فى تداعى الأفكار ، وهى توضح لنا سبب تنوع الأحلام واختلاف مناظرها وحداثتها

ومن تلك العناصر نرى أن أكثر الأحلام مصدرها الحوادث اليومية الواقعة فى حياتنا . وقد تتركب هذه الحوادث فتنشأ منها قصة أو واقعة غريبة

وللأحلام نوع آخر لا يقل رتبة عن الإلهام ندع الكلام فيه لمقال تال .

عبد العزيز جادو

لو سلمنا جدلاً بخلو الأدب العربي من القصص ، فإن ذلك إنما يكون طبيعة مزاجية فيه ، لا نقصاً يحسب عليه ، على أن العرب ليس لهم أن يشكوا خلوا أدبهم من القصص بعد الحرب الحاضرة ، فقد خاضوا غمراتها واشتركوا في ملاحمها ، ولا مشاحة في أن هذا الصراع العالمي يخلق فيهم روح « القصة » ، إذ كانت الحرب السالفة مادة لا يستهان بها في القصص الغربي

ولقد استطاع كتاب فلائيل من المحدثين أن يخلقوا القصة « المصرية » ، ولكنه بقي علينا أن نكتب القصة « العربية » ، وهذا ما نحاول العمل في سبيله الآن

واقدر كان الأدب العربي فيما بعد الحرب الماضية إقليمياً أو محلياً إلى حد بعيد ، فضمعت الصلة بين الأدباء المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم ، فالكتاب المصري قل أن يعقد صلة أدبية مع كاتب آخر في سوريا أو العراق مثلاً ، والمصحف المصرية لا تنشر في الغالب سوى مقالات الكتاب المصريين أو مقالات الكتاب الغربيين المترجمة ، ولذا لا نحسب قارئ المصحف المادى يعرف أحداً من كبار الكتاب المؤثر خارج مصر ، ونحن المصريين لا نحلى أنفسنا من تبعه هذا القصور ، ولا نحاول دفع النعمة إلا بإزالة أسبابها

وهنا يؤدي لنا الكلام إلى التعرّيج على (الفكرة الإسلامية » و « الفكرة العربية » وأيهما أولى بالترتيب . ونحن هنا في مصر نمزج الفكرتين ولا نجد فرقاً بينهما . أما في البلاد العربية الأخرى فيأخذون على المصريين تمسكهم بهذا الزج . ورون في ذلك ضرباً من التعصب الديني . ولا نحسب الأمر على هذا التصوير يصيب الحقيقة المجردة . ذلك لأن الفكرة (الإسلامية) أعم من الفكرة (العربية) ، فكان من الطبيعي أن تطوى أولها أخراها وتحتويها ، ولقد سغه الإسلام النعمة العنصرية والجنسية

وهنا نقول أيضاً إن الشقة بعدت بين الكتاب المصريين ورفقائهم العرب بسبب النزعتين (الفرعونية) و (العربية) ثم « الشرقية » و « الإسلامية » ، وقد ذهب أحد الزعماء المصريين إلى لبنان مصطافاً قبل بضعة عشر عاماً وأقيم له حفل خطب فيه زعيم لبناني معروف فقال « نريد أن تكونوا معنا

هنا كان الكاتب ينقل القصة — مثلاً — عن كاتب غربي ثم يحور أسماء الأشخاص والأماكن ، ويغير طابع الرواية بعض التنوير ، ثم يخرجها إلى الناس قصة مصرية !

وحالنا في هذا تحاكي الحال التي آلت إليها الأدب في العصر العباسي حين كان الكتاب لا يقرأ إلا إذا نص عليه بأنه منقول عن الفارسية ، وقيل في هذا الشأن إن عبد الله بن المقفع وضع كتاب « كاليبدة ودمنة » و« ماعاً » ، ثم نحله إلى الهند وفارس ليقرأه الناس ويجدوا فيه متاعاً !

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ؛ فإن كاتب هذه السطور يذكر أنه كان محرراً بإحدى الصحف اليومية المصرية ، وكان صاحب الصحيفة من المولعين بالترجمة ؛ فكان لا يستغنى مقالاً من إنشاء المحرر ، ولو ضرب به المثل في البلاغة ونصاعة البيان ، بيد أنه كان يتطير طرباً كلما بصر بمقال مترجم عن كاتب أوربي مهما تكن قيمته ! ومن هنا كان كل محرر منا يبذل الجهد الجهميد في كتابة مقال ، فإذا شاء أن يحظى بتقدير صاحب الجريدة نسبته إلى التيمس أو الطان — مثلاً — رحمه الله وغفر لنا وله !

هذا مثال لسنا مفرقين فيه علم الله ، يدل على مقدار ما بلغه الأدب عندنا من التدهور ... وعلى ذلك يقتضينا الأمر أن نفك الأغلال التي ناء بها أدبنا حتى يكون أدب ما بعد الحرب الراهنة أحسن حالاً من أدب ما بعد الحرب الماضية

نريد أن يكون أدب ما بعد الحرب أدباً ذاتياً مستقلاً يصدر عن أحاسيس ذاتية وخوارج نفسية صحيحة ، وليس معنى ذلك أن نحقق « الترجمة » ونقضى على المنقول من اللغات الأخرى ، وإنما نريد أن نتخير من كل حسن أحسنه ، ثم يكون النتائج أخيراً أدباً عربياً خالصاً فلا يضطرب المزاج ولا يطغى عنصر على عنصر . ولا نريد أن نسهب في هذه النقطة فنسفر لها بحثاً خاصاً إن شاء الله

ولقد عابوا على الأدب العربي خلوه من القصص ، على حين أنه يفوق بالقصص ، وإنما لنكتب هذه الكلمة وبين أيدينا كتاب « مجمع الأمثال للميداني » ، وهو كتاب لو نسق على الطريقة الحديثة لكان من أروع كتب القصص في سائر اللغات . وحتى